فكرة الإنيّة (خودي)

عند محمد إقبال (1877م ــ1938م)[1]

الدكتور: عبد الوهاب فرحات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة ــ الجزائر

"لما قرأت فلسفة إقبال في الذات، أحسست ولأول مرة بالرحفة الفلسفية ونشوة المستقبل"

(حسن حنفي)

لقد قال ابن رشيق المسيلي عن المتنبي و لم يعدو الصواب، إنه رجل "**ملأ الدنيا وشغل الناس**" وما نظن في إطلاق هذا القول اليوم على إقبال تزيدا ولا افتياتا، لا في ميدان الأدب فحسب، ولكن في كل ميدان له اتصال بقضايا الفكر الإنساني الخالد.

فإقبال شاعر موهوب من مستوى رفيع، ومفكر مبدع أسهم بجهد مشكور في تجديد الفكر الإسلامي وتحريره من الجمود الذي كان قد سيطر عليه، وعمل على إثرائه ومده بزاد جديد يكفل له التطور ويحقق له الملاءمة لروح العصر ومسايرته للحياة.

وهو في مجال الفكر دارس ناقد للتاريخ العقلي للأمة الإسلامية كأنه ابن خلدون القرن الرابع عشر، يكشف عن أسراره وأطواره، ويلقي عليه أضواء التمحيص والنقد، ويدعو إلى

---

[1]- انظر في ترجمته: أحمد معوض، العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص 9ــ92.

إعادة البناء والتجديد، وهو في الوقت نفسه منشئ مبدع يخاطب الإنسان المسلم، ويخلص له النصيحة، ويبث في قلبه الثقة، ويدعوه إلى العمل والجهاد، ويوقظ في نفسه روح التضحية، ويحدوه على طريق البذل والنبل، والشهادة والفداء.

وكلا الجانبين مرتبطان في حياة إقبال الروحية والعملية، فنقده لتراث المسلمين الروحي والعقلي، وسائر جوانب الفكر الإسلامي يرتبط بفكرته الخاصة عن "الإنيّة"، أو "الذاتية"، أو "أسرار النفس"، أو مبدأ "الشخصانية" الذي هو في نظره قوام الحياة وسر الخلود.

أولا ــ دوافع فلسفة الإنية لدى إقبال:

شغل مبحث الإنسان موقعا رأسيا في فلسفة إقبال الإحيائية ليس له نظير فيما تيسر لنا من إطلاع في كتب مفكرينا المعاصرين.

وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا أن "قضية الإنسان" تمثل محور الارتكاز في فلسفة الرجل، أما دوافع إقبال نحو هذه النزعة فإن ذلك يرجع لسببين:

1- إن معرفة الإنسان "لأسرار الذات" يعد أهم المسالك التي تؤدي إلى معرفة الله سبحانه وهذا ما صرحت به طائفة من الآيات القرآنية كقوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[1] وقوله أيضا: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}[2].

---

[1]- فصلت: 53.

[2]- الذاريات: 21.

وفي هذا المعنى يقول إقبال: "إذا نسيت ذاتك وتنكرت لنفسك، فلماذا تبحث عن محب لك، عارف بك، إذا لم تتعرف على الإنسان وحقيقته، فأنى لك أن تتوصل إلى الله، خالق الإنسان وفاطر الكون"[1].

2- إن هذه الخلابة صيرت الإنسان نموذجا كاملا للتناسي للذات، بحيث نسي الإنسان حقيقته وخصائصه الإنسانية، ومهمته الوجودية وعاد ليعيش عيشة البهائم والجمادات، ولذلك تاه الإنسان تيهانا مروعا في لجة هذه الفتانة.

وعبر هذا التيه إلى الإنسان المسلم وهذا أمر لا يدعو إلى الدهشة مطلقا لأنه نتيجة حتمية لما يمليه التمدين الغربي على العالم الإسلامي، إذ من المعلوم من حقائق التاريخ والواقع الإنساني كما يقول محمد أسد بحق: "إن الأمم التي هي أخصب من الناحية السياسية والاقتصادية تترك على الأمم التي هي أضعف منها في الحيوية روعة، وتؤثر فيها من الناحية الثقافية والاجتماعية، من غير أن تتأثر هي نفسها، تلك هي الحال اليوم فيما يتعلق بالصلات بين الغرب وبين العالم الإسلامي"[2].

لقد أدرك إقبال هذه الحقيقة الحضارية إدراكا عميقا، ولاحظ – وهو الذي عاصر أسوأ فترة انتقالية من حياة المسلمين وهي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين- السرعة العجيبة التي ينحو بها المجتمع الإسلامي برمته نحو الغرب، وانتبه إقبال إلى الغزو الفكري المنظم الذي يستهدف الكيان الإسلامي في وجوده والذي يشن من طرف أجنحة المكر العالمية.

---

[1]- نقلا عن: أبي الحسن الندوي، الإسلام في عالم متغير، ط. بيروت: مكتبة الحياة 1980م، ص 76.

[2]- محمد أسد، الإسلام في مفترق الطرق، تر: عمر فروخ، ط. بيروت: دار العلم للملايين، ص 18.

ثانيا: المعنى العام لفلسفة الإنية عند إقبال:

بسبب هذين الدافعين حاول إقبال أن يقدم مذهبا أو نظرية هي في رأيه محاولة لبيان وجهة "النظر الإسلامية" في الإنسان، تدور على فكرة محورية عنده هي **"الإنيّة"**، ولكن ما الذي يعنيه إقبال بهذا المصطلح الذي جعله موضوعا لفلسفته .

يقول إقبال لقد أجهدت عقلي جهدا شديدا قبل أن أتوصل إلى تحديد للفظة **"خودى"** للتعبير عن **"الذات"** في معنى بسيط، أي للتعبير عن حقيقة **"الأنا"** البسيطة.ومن ثم، ومن الناحية الغيبية، تستعمل كلمة **"خودى"** بمعنى محايد للشعور **"بالأنا"**، الذي يكون القاعدة للوحدة لدى كل فرد.

والحقيقة إن فكرة "الإنية" أو "الشخصانية"كما يحب المفكر المغربي "عزيز الحبابي" أن يدعوها بذلك تقوم على أصول إسلامية، فالإنسان ليس هو الحيوان الناطق الذي يتحدث عنه فلاسفة الإغريق، وإنما هو الحارث الهمام كما نبه المصطفى عليه السلام، بقوله: **"أصدق الأسماء الحارث والهمام"** والحرث هو العمل والإنتاج، والهم هو العزم والإرادة، هذا هو جوهر الإنسان كل إنسان، وهي الحقيقة التي يفجرها فيه الدين الخاتم دين العمل والجهاد كما يقول إقبال، والتي يحاول الفكر الباطني المتنصل أو المتحلل من الشريعة، والتصوف العجمي الداعي إلى فناء الشخصية، والفكر الجامد المحنط الخالي من الروح القرآنية والجذوة النبوية أن يغشى على حقيقته ويخفت صوت دعوته {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[1]

لقد تأكد لإقبال أن نهضة أمم الشرق لا يمكن أن تحدث في محيطها ما لم تقع ثورة في أعماقها وأنه لا يمكن لعالم جديد أن يتحقق ويبرز للعيان ما لم يكن العقل البشري قد توصل

---

[1] – الأنفال: 2- 4.

إلى شكل له، وهذا القانون ثابت في الطبيعة وهو ما تؤكده الآية القرآنية بوضوح تام في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}[1].

وهذا القانون يغطي كلا الجانبين: الفردي والجمعي، ومن هذا المنطلق دعا إقبال المسلمين إلى "الإنية" ولكن من غير كبر أو غرور و"الذات" أو "خودي" كما يسميها إقبال بالفارسية شيء غامض مليء بالأسرار وإلى هذه الحقيقة أشارت الآية الكريمة: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[2]، فالآية دلالتها واضحة على أن ماهية الذات أمر يتجاوز طور العقل لأن هذه الذات رغم تعاليها، فإنها موجودة وعلى الإنسان أن يسعى إلى تقويتها وتنميتها بالعمل والجد والنشاط وبهذا وحده تخلد الذات قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[3].

والعمل أساس **فلسفة الإنية** عند إقبال وفي هذا المعنى يقول شعرا:

أرى الذرات في شوق الظهور
ويصدع غصنه برعوم زهر
فيبسم الحياة من السرور
دع الشطآن لا تركن إليها
ضعيف عندها جرس الحياة
عليك البحر صارع فيه موجا

---

[1]- الرعد: 11.

[2]- الإسراء: 85.

[3]- الشمس: 7- 10.

حياة الخلد في نصب تواتي[1].

وفلسفة الإنية هذه هي الفلسفة الجديدة التي جاء بها إقبال، معارضا ورافضا بها كل الفلسفات السلبية، السكونية الجامدة.

ولقد كان إقبال يرى أن مقصد الإنسان في هذه الحياة يكمن في مدى قدرته على اكتناه ذاته، واستبطانها في خطراتها وتنمية مواهبها وتوفير الأسباب لها، وفي هذا المعنى يقول: "إن منتهى قصد الحياة الدينية هو كشف الذات بوصفها فردا... واتصال الذات بذات الحق العليا يكشف لها عن تفردها، ومرتبتها الميتافيزيقية، وإمكان تقدمها ورقيها في تلك المرتبة"[2].

ومن هنا فإن "الذات" تقترب دوما نحو "الحق" وتحاول بقدر الطاقة، أن تتشبه به، وتتخلق بأخلاقه قال تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}[3] وفي الحديث الصحيح: "**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني مشي أتيته هرولة**"[4].

وعلى هذا فإن "خودي" ينبغي أن تتجه هذا الاتجاه وفي هذا الصدد يقول: "أرى أن هدف الإنسان الديني والأخلاقي إثبات ذاته لا نفيها وعلى قدر تحقيق فرديته، ووحدته يقرب

---

[1]- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط2 بيروت، دار الشروق 1983م، ص 172.

[2]- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، تر: عباس محمود، ط. بيروت: دار آسيا 1985م، ص 212.

[3]- آل عمران: 79.

[4]- رواه مسلم في صحيحه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، في كتاب الذكر والدعاء باب الحث على الذكر ورقم الحديث2675، ط. بيروت: دار الإحياء العربي، 1942م، ج4، ص 2661.

من هذا الهدف، ولهذا أثر عن الرسول قوله: "**تخلقوا بأخلاق الله**"[1]، فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة، كان هو كذلك فردا بغير مثيل.وتنقص فردية الإنسان على قدر بعده من الخالق، لأن الإنسان الكامل هو الأقرب إلى الله، ولكن ليس القصد من هذا القرب أن يفنى وجوده في وجود الله، كما تقول فلسفة الإشراق الصوفية، بل هو على عكس هذا، يمثل الخالق في نفسه"[2].

وعلى "الذات" أو "خودي" أن تناضل ضد ما يحيط بها، وأن تقهره بدل الفرار منه كما في بعض الفلسفات الإشراقية، وبهذا وحده تحصل الذات على حريتها وفرديتها حتى تصل إلى مقام الخلافة هذا المقام الذي يمكن الحصول عليه عن طريق تربية الذات على المنهج الصحيح.

والحياة كما يرى إقبال بحق: "رقي مستمر، تسخر كل الصعاب التي تعترض طريقها، وحقيقتها أن تخلق دائما مطالب ومُثُلا جديدة. وقد خلقت من أجل اتساعها وترقيها آلات كالحواس الخمس والقوة المدركة لتقهر بها العقبات والمشقات. وأشد العقبات في سبيل الحياة، المادة أو الطبيعة، ولكن المادة ليست شرا كما يقول حكماء الإشراق، بل تعين الذات على الرقي، فإن قوى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات"[3].

والمؤمن في تصور إقبال هو الإنسان القوي وقد جاء في الحديث النبوي: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**"[4].

---

[1]- الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط1. بيروت: الناشر: مكتبة المعارف، ص 2822. وقال لا يعرف له أصلا.

[2]- محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، تر: عبد الوهاب عزام، تح: سمير عبد الحميد إبراهيم، ط2. القاهرة: دار الأنصار 1981م، ص 16.

[3]- المصدر نفسه، ص 17.

[4]- أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، عن أبي هريرة.

نستمع إليه وهو يخاطبه: "أنت يد القدرة وأنت لسانها أيها المؤمن، إن نظرتك تغير الأقدار"، وإذا كان إقبال في فلسفته يدعو للقوة، فإنه لا يعني بها ما يعنيه "نيتشة" في الصلابة أو قسوة الفؤاد، أو انعدام الرحمة، بل يعني بها تكامل عناصر قوة الذات بحيث يمكنها أن تسد الطريق على قوى التدمير بوسائلها تجاه الخلود الذاتي[1].

والشعور "بالإنية" يضعف ويقوى في تصور إقبال، وليست هناك أعمال تورث اللذة وأخرى تورث الألم، بل هناك أعمال تكتب للنفس البقاء، أو تكتب لها الفناء، ومبدأ العمل الذي يكتب للنفس البقاء هو احترامي للنفس فيّ وفي غيري من الناس[2].

ولعل سائل يسأل ما الذي يريده إقبال منا باختصار؟

يريد إقبال القول إن منتهى غاية الذات ليس أن ترى شيئا، بل أن تصير شيئا، والجهد الذي تبذله الذات لكي تكون شيئا هو الذي يكشف عن فرصتها الأخيرة لشحذ موضوعيتها وتحصيل ذاتية أكثر عمقا، ترى الدليل على حقيقتها في قول كانط "أنا أقدر" لا في قول ديكارت "أنا أفكر"[3].

ثالثا: ما الذي يقوي الشعور "بالإنية" وما لذي يضعفها:

ذكرنا فيما سبق أن إقبال يهدف إلى "**الإنية**" وتكميلها حتى تغدو كالماس أو أشد، وقال إن كل ما يقويها خير، وكل ما يضعفها شر، في الدين والفن والأخلاق.

لكن يظل السؤال الذي يواجهنا ما هي الأشياء التي تدعم الشعور "**بالإنية**" وتقويها؟ وما هي الأشياء التي تضعفها وتفنيها؟

---

[1] – أحمد معوض، العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، (مصدر سابق)، ص 332.

[2] – محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، (مصدر سابق)، ص 137.

[3] – المصدر نفسه، ص 226.

لـ ما يقوي الشعور "بالإنية":

وأهم العوامل التي من شأنها تقوية الشعور "بالإنية" هي في رأي إقبال[1]:

1- **العشق**: ويعني به إقبال الحماسة والرغبة في العمل الخلاق.

2- **تخليق المقاصد وإبداعها**: فالذات تقوى بتوليد المقاصد وإبداع الرغبات وإيجاد الأماني، فإذا ما كان للإنسان مثل أعلى يسعى إليه فإنه سيصله حتما، ويجب على الإنسان أن يتغلب على ما يعترضه من عقبات وما يواجهه من صعاب حتى يصل إلى الغاية التي كان إقبال ينشدها وهي مرتبة النيابة الإلهية.

3- **الفقر**: عند إقبال له مفهوم أخلاقي يتمثل في تحرير الذات من المغريات والجوانب الأرضية التي تنأتى "بخودي" عن إدراك عبوديتها الحقة للذات الإلهية، فلا غرو أن يكون "نفي الذات" بهذا المفهوم الإقبالي مصدر قوة للذات أي "خودي".

4- **التسامح**: ويعني به إقبال اعتماد الإنسان على ذاته، واحترامه لها وثقته فيها، ومحافظته عليها ولاشك أن الذات متى وصلت إلى هذا المستوى تكون أوعى من غيرها بذوات الآخرين، فلا تقع في انحراف التسلط عليهم، ولا تمارس عليهم أي لون من ألوان العبودية لأن هذه "الذات" تخلت عن نزعتها "التربية" التي حققتها في مقام "الفقر".

5- **الشجاعة**: وهي قيمة أخلاقية يستحيل بدونها أن تحقق الذات شيئا له أهمية حقيقية في هذا العالم، ولهذا ما فتئ إقبال ينصح المسلم بأن يكون "صلب كالماس" وبقصير العبارة نقول أن الشجاعة عند إقبال تعني تكامل عناصر الذات بحيث يمكنها أن تسد الطريق على معاول التدمير وقوى الشر، التي تعمل على تمزيق كيان الذات.

---

[1]- محمد إقبال، ديوان أرمغان حجاز، مقدمة المترجم، سمير عبد الحميد إبراهيم، ط1. لاهور: المكتبة العلمية، 1976م، ص 33ــ34.

6- **الكسب الحلال:** وهو يشمل عند إقبال كل مجال النشاط الإنساني الذي تصل إليه الذات عبر مجهودها الفردي، ومن هنا تكون أبعد ما تكون عن حياة الخمول والكسل الذي "ينفي الذات" ويميتها.

ب ــ ما يضعف الشعور "بالإنية":

وإذا كان للشعور"بالإنية" عوامل تدعمه وتقويه، فإنه هناك عوامل أخرى تضعفه وتميته وتتمثل في رأي إقبال[1]:

1- **الخوف:** يعد عامل الخوف من العوامل المضعفة للشعور "بالإنية" التي تذهب بهيبتها وكرامتها، فقد بين علماء النفس أن للخوف تأثيرات سلبية في شخصية الإنسان، وقد أثبتوا أن معظم الشواذ من البشر نشأوا أصلا بدافع الخوف المكبوت.

2- **العبودية:** وهي تحطم الشخصية الإنسانية، وتنزل بالإنسان إلى أدنى مستوى، وهذا يكفي لإضعاف الشعور بالإنية، ومن هنا يجب أن تكون عبوديتنا الحقة لله ولإقبال رسالة صغيره في العبودية سماها "بندكي نامه" يقول فيها: "إن القلب يموت في الجسد بالعبودية، وتستحيل الروح عبئا على الجسد بالعبودية، وبالعبودية يحل ضعف الشيخوخة في الشباب، وبالعبودية تسقط الأنياب من أسد الغاب.وبالعبودية يتفرق محفل الأمة فردا فردا، ويكون هذا وذاك في صراع مع هذا وذاك"[2].

3- **السؤال:** وإقبال لا يستعمل هذا المصطلح كما هو معروف في استعماله العامي فعنده أن كل ما يتحقق بدون المجهود الشخصي يأتي تحت "السؤال" وابن الرجل الغني الذي ورث الثروة عن أبيه هو شحاذ، وكذلك الشخص الذي يستعير أفكاره من الآخرين.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 35

[2]- محمد إقبال، رسالة العبودية، تر: أحمد معوض، ضمن كتاب العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، (مصدر سابق)، ص 404.

4- **التفرقة الجنسية:** وتعني الفخر بالنسب، وهذا من شأنه أن يخلق الحواجز بين الناس، والفخر بمثل هذه الاعتبارات الجنسية كالفخر بالأسرة أو القومية أو الطبيعة ليس شعورا صحيحا وهذا من شأنه أن يوقف تطور الذات، وعن طريق العوامل التي من شأنها تقوية الشعور "بالإنية" وتجنب تلك التي تؤدي إلى ضعفها وإضعافها، يجب أن نتفكر أن الذات تتطور بارتباطها بالجماعة، فالذات لا تنمو في فراغ، والذات إنما تستحكم وتتبلور بمجموع أمور ثلاثة: الإرادة والقوة، والعمل الجاد المتواصل، وارتباط بالأمة وأهدافها وقيمها، فقطرة الماء لا تتحول إلى لؤلؤة إلا في أعماق البحر، يقول إقبال.

رابعا: تربية الشعور"بالإنية":

أما تربية الذات فقد بين لها إقبال في مثنوية أي "ديوان الأسرار والرموز"[1] ثلاث مراحل حتى تبلغ كمالها الممكن هي:

1- إطاعة القانون الإلهي:

يوجه إقبال حديثه للإنسان ويدعوه إلى إطاعة الله تعالى التي هي أول مراحل تربية الذات قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[2]، أي لو حصلنا على التقرب من الله بأداء الفرائض، ثم النوافل فإن محبته سوف تظهر في القلب كما يرشد إلى ذلك الحديث القدسي: "**من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه**

---

[1] - محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، (مصدر سابق)، ص 19.

[2] - آل عمران: 132.

الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذ نه"[1].

2- ضبط النفس:

يرى إقبال إن هذا هو الجهاد الأكبر الذي شرع من أجل تحطيم الأصنام الداخلية التي تنأى بالإنسان عن إدراك عبوديته الحقة وتبعيته الأصلية لله، ويستند إقبال في هذا إلى قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[2]، وبقول إقبال: "إن الذي لا يحكم في نفسه حري بأن يحكم عليه غيره، ويرى أن ضبط النفس لا يكون إلا بنفي الخوف والشهوات"[3].

3- النيابة الإلهية:

يرى إقبال أن النيابة الإلهية، هي أعلى درجات السمو الإنساني، ونائب الحق ــ سبحانه وتعالى ــ من **كان الحق سمعه وبصره ويده** كما جاء في الحديث القدسي[4]، وهو خليفة الله في الأرض كما في الآية القرآنية {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[5]، وهو المعبر عنه في الدوائر الصوفية "بالإنسان الكامل" الذي هو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية، وهو نهاية معراج الحياة الروحي.

---

[1] - رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، ط بيروت: دار الفكر (د.ت) ج7، ص 190.

[2] - النازعات: 40-41.

[3] - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مطبوعات الباكستان سنة 1954م، ص 83.

[4] - سبق تخريج الحديث.

[5] - البقرة: 30.

لكن إقبالا يشترط في ظهور "الإنسان الكامل" رقي البشرية في جانبيها الروحي والمادي، وهذا يتوقف على وجود الأمة المثالية التي يتجلى في أفرادها في الجملة هذا التوحد الذاتي، وتصلح لأن يظهر فيها الإنسان الخليفة.

هذا الإنسان الذي نصفه تراب ونصفه الآخر سماوي، هذا الموجود الذي له بعدان، ويطمح أن ينبت على جسمه جناحان، هو الذي كما يقول على شريعتي: "الإنسان الذي تعلم تجربة "روما" وأدرك تجربة "الهند" الإنسان الذي يكون الفرد فيه بجناحين، ومجتمعه ببعدين"[1].

ولقد كان إقبال يتخذ في أكثر شعره نموذجا لهذه الذاتية الفارهة الأصلية: من رجال الحكم والعمل "السلطان تيبو" الشهيد الذي قاتل الإنجليز في احتلالهم للهند وإسقاطهم الدولة الإسلامية بها حتى قضى شهيدا نبيلا، ومن رجال الفكر والدعوة "مولانا جلال الدين الرومي"[2] الذي اتخذه مرشدا له في معراجه الروحي أو رحلته السماوية التي وصفها في ديوانه (جاويد نامه أو رسالة الخلود) وكان يرى أن أكمل مثال إنساني في كل معاني الإنسانية ومواقفها هو محمد ﷺ {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[3].

لكن الارتباط بالأمة، والتواصل البناء بين الذوات المستقلة أمر مطلوب، ومن ثم فإن التصوف الداعي إلى الفناء بمعنى الغيبوبة ليس هو التصوف الحق، بل التصوف الحق، هو إحكام الذات بكسب الكمالات والتخلص من الرعونات، هو تخل يعقبه تحل ليتهيأ السالك

---

[1] – علي شريعتي، سيماء محمد ﷺ تر: سيد جعفر سامي اليدواني، ط2، دار الصحف للنشر 1412هـ، ص 31.

[2] – صوفي وشاعر فارسي ت 672هـ من أشهر كتبه المثنوي، انظر في ترجمته: عناية الله إبلاغ الأفغاني، جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية 1987م.

[3] – الأحزاب: 21.

للتجلي الإلهي، وهو يروي في مفتتح الباب الرابع من كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) مقالة الصوفي الذي نازعته نفسه إلى الغيبوبة والفناء والتلذذ بأنوار الشهود (لقد عاد محمد ﷺ من مقام قاب قوسين، والله لئن بلغت إلى هناك فلن أعود أبدا)[1]، لكن محمد ﷺ عاد، وحتى قبل أن يعود كان مالكا لنفسه متمكنا في حاله ساعيا إلى غايته رغم الآيات والأنوار الباهرة للألباب {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}[2].

وبقصير العبارة نقول: هذه هي "فلسفة الإنية" عند إقبال وحسبها أنها دعوة لإحياء حقيقة الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض لإحيائها وعمارها وإقامة المدنية فوقها ومذهب إقبال في هذا المجال "مذهب إنساني بحت كما يقول ـ د. محسن عبد الحميد بحق ـ لا يخص فردا أو جماعة أو أمة، ولكن خص الأمة الإسلامية بالحديث عن الذات لأنها هي التي يتمثل فيها الشعور بالذات في أجلى مظاهره"[3].

أيها المسلم: هذا هو الطريق، ولا مدعاة للحيرة، لقد كان إقبال يقول: وهو يخاطب قارئه في ختام كتابه عن تجديد التفكير الديني في الإسلام: "انشد العون من شهود ثلاثة لتتحرى حقيقة مقامك: أولها عرفانك لذاتك فانظر نفسك في نورك أنت، والثاني معرفة ذات أخرى فانظر نفسك في نور ذات سواك، والثالث المعرفة الإلهية فانظر نفسك في نور الله"[4].

---

[1] – محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، (مصدر سابق)، ص 142.

[2] – النجم: 11-18.

[3] – محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، القاهرة: دار الصحوة للنشر، 1985م، ص 85.

[4] – محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، (مصدر سابق)، ص 226ـ 227.

"أأنت مجرد ذرة من تراب؟ اشدد عقدة ذاتك واستمسك بكيانك الصغير، ما أجل أن يصقل الإنسان ذاته! وأن يختبر رعونتها في سطوع الشمس، فاستأنف تهذيب إطارك القديم وأقم كيانا جديدا، مثل هذا الكيان هو الكيان الحق، وإلا فذاتك لا تزيد أن تكون حلقة من دخان"[1].

هذه إلمامة موجزة عن "فكرة الإنية" عند العلامة محمد إقبال يتبين من خلالها معاقد الطرافة، وأصالة التناول، وعمق التحليل التي وسمت إقبال في مؤلفاته، وإذا كان إقبال قد رحل إلى عالم الخلود، فإن آراءه باقية، وأشعاره التي بثها ستبقى حية، متقدة كجذوة النار يصطلي بها كل متمسك بعروة الدين، ومتسلح بالمنهج العقلي.

[1]- المصدر نفسه، ص 227.

الإشكالات الجغرافية لمولد المسيح ونشأته
بين الكتاب المقدس والدراسات العلمية

الأستاذة: آسيا شكيرب
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة –الجزائر

مقدمة:

إن المسيح هو الشخصية المحورية التي بني عليها نسق القصص الإنجيلي، والأناجيل هي الوثائق التارخية الأولى التي اهتمت بجوانب مختلفة من حياة المسيح كالولادة والتعميد والدعوة وتأسيس الجماعة المسيحية الأولى.

ويعتبر مكان ولادة المسيح ونشأته من المواضيع المثيرة للجدل في العصر الحديث، خاصة بعد التقدم الذي عرفته الدراسات التاريخية والأركيولوجية والنقدية، وقد أحاط الباحثون والنقاد حياة المسيح بالكثير من العناية، وتضافرت جهود الباحثين في عدة تخصصات للكشف عن خبايا حياته وأسرارها، وقد استغل باحثو الأديان ما توصلت إليه الاكتشافات الأركيولوجية، والتاريخية وحتى الأدبية لدراسة النصوص الإنجيلية وإعادة تشكيل جغرافيتها.

فقد كان من الشائع في الأوساط المسيحية أن المسيح ولد في **بيت لحم** ونشأ في **الناصرة** في الجليل وعاش فيها طيلة حياته وبشّر برسالته، وكان تلامذته وأتباعه جليليين، وهو لم يذهب إلى أورشليم إلا في أواخر مسيرته التبشيرية حيث صلبه اليهود .

وقد حددت لنا الأناجيل المحيط الجغرافي لتحركات المسيح منذ المولد إلى الصلب، وأمام الحقائق التاريخية والنقدية أصبح لزاما علينا التأكد من مدى مصداقية القصص الإنجيلية، ومن الخلفية الفكرية والدينية التي رصدت لنا جغرافية مولد ونشأة المسح، وعليه يحق لنا أن نتساءل، أين ولد المسيح حقيقة؟، وأين نشأ؟؟

إن معالجة مثل هذا الموضوع يقتضي منا التزام المنهج التحليلي النقدي، الذي يستلزم منا تقسيمه إلى مطلبين، الأول يهتم بعرض مكان الولادة ونتناول من خلاله المصدرية النصية للموضوع ونقدها، ثم تقديم النقد الخارجي للموضوع، أما المطلب الثاني فنتعرض من خلاله لمكان نشأة المسيح والإشكالات المثارة حوله.

إن هذه المقالة هي ثمرة مجهود شخصي، انطلقت بذرته الأولى من بعض الدراسات الغربية النقدية، وقد قمنا بتطعيمها بالرؤية القرآنية للموضوع الشيء الذي أفرز منهجا جديدا نسعى من خلاله لإبراز **الرؤية القرآنية**.

وقد ارتأينا أن نضع بين يدي القارىء الكريم أهم مصادر القرن العشرين التي اعتنت بالناحية الجغرافية لحياة المسيح لكننا للأسف لم ننجح في الوصول إلى أغلبها، وقد اعتمدنا على مصادر أخرى حاولنا من خلالها تقديم الموضوع بنسق علمي أضفينا عليه الكثير الاجتهادات الشخصية، ومن بين تلك المصادر:

Jonathan L. Reed : **Archeology and the Galilean Jesus**, a re-examination of the evidence.

Baguitti: Exavation in Nazareth

و لم نجد من الدراسات باللغة العربية سوى كتاب "**الوجه الآخر للمسيح**" لفراس السواح[1]

المطلب الأول: إشكالية بيت لحم

حاول كل إنجيل رسم لوحة الميلاد بطريقته الخاصة، وفي الوقت الذي تناول كل من مرقس ويوحنا الميلاد بشكل مقتضب[2]، استفاض كل من متى ولوقا في سرد قصة الميلاد، وحاولا الترسيخ لكون أسرة المسيح يهودية الأصل من مدينة بيت لحم الواقعة في مقاطعة اليهودية، وليست جليلية متهودة، وبأن المسيح ولد في بيت عادي أين قصده المجوس وسجدوا له وقدموا الهدايا.

ويبدو مكان الميلاد في السرد الإنجيلي كأي مكان في المعمورة، إلا أننا متى عرفنا هدف الكاتب من تخصيص هذا المكان دون غيره، سنكتشف أننا أمام إشكالية حقيقية، فمريم ويوسف النجار حسب متى ومرقس كانا يعيشان في الناصرة الجليلية المتهودة، إلا أن المسيح ولد في الجنوب في بيت لحم اليهودية، ثم نشأ طيلة حياته في الناصرة، فهل ولد المسيح حقا في بيت لحم اليهودية؟ ولما هذا التخصيص المكاني لولادة المسيح؟

1- فحص النصوص:

تتناقض الأناجيل في مختلف مكونات الميلاد من حيث المكان والسنة واليوم. وما يهمنا هو تحديد مكان مولد المسيح فهل هو **في بيت لحم** بمنطقة اليهودية جنوباً أو في الناصرة بمنطقة الجليل شمالا؟؟ ويروي لنا كل من **متى ولوقا** قصة ولادة المسيح، فبينما ذكر **لوقا** بأن

---

[1]- اكتشفنا أن هذا الكتاب يحمل نفس عنوان كتاب The Changing Faces of Jesus، لـ Geza Vermes، والشيء المحير أن الكاتب وضع نفس أيقونة ونفس لون غلاف الكتاب، دون الإشارة إلى هذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد، ولكننا لم نستطع العثور على الكتاب، يرجى التأكد من الرابط التالي:
http://www.penguin.co.uk/nf/Book/BookDisplay/0,,9780140265248,00.html.

[2]- راجع، مر: 1/1 ويو:1/1-2.

مريم ويوسف قد سافرا من بلدهما الناصرة في الجليل إلى بيت لحم في اليهودية من أجل الولادة كما نقرأ في "**فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ**"[1]. يقول متى بأن يوسف ومريم قد استوطنا **الناصرة** فقط بعد ولادة المسيح وذلك لخوفهما من العودة إلى اليهودية "**فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضاً عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا»**"[2].

فمتى يقول أن يوسف أُوحي إليه أن يسكن مدينة يقال لها الناصرة بعد ولادة المسيح، بينما يذكر لوقا أن مريم ويوسف كانا يسكنان بالناصرة ثم ذهبا إلى بيت لحم، فالتناقض هنا واضح جدا، مما يدعونا إلى محاولة الكشف عن سبب هذا التناقض.

ونعود إلى رواية لوقا لنتتبع ما قاله (مع مراجعة الحارطة):

- وفي الشهر السادس أرسل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها الناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من **بيت داود** اسمه يوسف[3].
- فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت **بسرعة** إلى الجبال إلى **مدينة يهوذا ودخلت** بيت زكريا وسلمت على أليصابات[4].

---

[1]- لو: 2 /4.

[2]- مت: 2 /21-23.

[3]- 1/26-27.

[4]- 1/39.

● وفي تلك الأيام صدر من أوغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة. فذهب الجميع ليكتتبوا، كل واحد في مدينته؛ **فصعد** يوسف أيضا **من الجليل** من مدينة الناصرة إلى اليهودية، **إلى** مدينة داود التي تدعى **بيت لحم**، لكونه من بيت داود وعشيرته[1].

يمكن لنا أن نستخلص من الفقرات السابقة عدة أمور منها:

1- بعد أن حملت أليصابات، انتشرت الأخبار السارة في وسط العائلة – عائلة زكريا وأليصابات–، وكذلك في الناصرة على بعد نحو ستين كيلومترا إلى الشمال[2] وعند قراءتنا للفقرة 1 /39: نفهم أن المسافة بين بيت مريم وبيت أليصابات قصيرة جدا، بدليل قول لوقا **بسرعة، ودخلت**، ولا يمكن لنا أن نتصور أن مريم قطعت مسافة 60 كلم أو أكثر حسب من يرى أن عائلة زكريا سكنت مدينة حبرون[3]، ثم دخلت المنزل لأن هذه العبارة تشعرنا أن مريم معتادة على ارتياد هذا البيت، بالإضافة إلى أن الخبر انتشر في الناصرة وهذا يدل على أن أهل الناصرة يعرفون عائلة زكريا جيدا.

---

[1] - 2/1-4.

[2] - عبد الملك، جون ألكسندر طمس، إبراهيم مطر وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، ط10، (القاهرة: دار الثقافة، 1995)، ص 2063.

[3] - تقع حبرون في الوادي وعلى منحدر وتعلو 3040 قدما فوق مستوى البحر، وعلى بعد 19 ميلا إلى الجنوب من أورشليم، وثلاثة عشر ميلا ونصف ميل إلى الجنوب الغربي من بيت لحم (قاموس الكتاب المقدس، ص) وهناك رأي يرى أن المدينة التي ذهبت إليها مريم العذراء هي مدينة يطة، والرأي المعمول به أنها مدينة عين كرم الحديثة وبها كنيسة كبيرة "كنيسة الزيارة" (متى المسكين: المسيح حياته، وأعماله، ط2، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 2008م)، ص 34 نقلا عن: الكتاب المقدس: ص 282.

jack firegen :archacology of the new testament, p 3-5.

ويرى متى المسكين أن مريم اعتبرت ما قاله الملاك دعوة لزيارة أليصابات نسيبتها لترى وتفرح، وقد قامت مريم مسرعة تطفر على جبال اليهودية كغزال أسلم رجليه للريح، أو حمامة خفيفة تهبط الوديان فاردة جناحيها لتتزلق مع الهواء فكانت تطير أكثر منها تسير، الروح يدفعها والنعمة تحملها وتجدد أنفاسها، فكان الليل يضيء لها كالنهار، والرحلة شاقة وطويلة على مدى ثلاثة أيام بلياليها من الناصرة إلى حبرون إلى مدينة يهوذا رحلة تشق صعوبتها على الرجال وما نعرف هل قطعتها في ساعة أو بضعة ساعات[1].

إن هذا التشبيه للكاتب يشعرنا بأن هناك نوعا من الإعجاز في سفر مريم، ولو حدث هذا الأمر فعلا لكان أشار إليه أحد الإنجيليين، لكننا لم نعثر على أي إشارة لهذا الموضوع، ويمكن أن نستشعر من كلامه أيضا محاولة لتبرير عدم واقعية قطع مريم تلك المسافة بسرعة فائقة، وبالإضافة إلى كل ما تقدم كيف لمريم التي قضت كل حياتها منذورة للرب في الهيكل أن تسافر مسافة طويلة لوحدها، وأنّا لهذه الطاهرة أن تشق طريقها بين الجبال الوعرة وأن تبيت في العراء ليال عدة، ولنا أن نتساءل هل اعتادت مريم السفر من قبل لتسرع في الطريق بتلك الطريقة، وهل كان بإمكان المرأة المنذورة السفر والتحرك بحرية؟؟

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن لوقا سَلَكَ غُمُوضًا في التعبير، فكان عليه استعمال كلمة سافرت للإشارة إلى طول المسافة، لكنه عبر عن حقيقة واقعة هي أن مريم وإليصابات يسكنان في ذات المدينة، وأن مريم المنذورة لا يمكن لها السفر لوحدها لعدة أيام، ولا يمكن لنا إلا القول ان لوقا أقحم **مدينة يهوذا** حتى يثبت نسب أسرة مريم الداودي، ويبدو من رواية لوقا أنه بارع في تجاوز الأزمنة والأمكنة والمسافات.

---

[1]- متى المسكين: المسيح حياته، وأعماله، ص 34.

ويمكن القول أن سرعة مريم – حسب لوقا – تتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم الذي يظهر وشائج الصلة التي تربط مريم بعائلة زكريا، وكيف أن مريم دخلت مسرعة لكونها كانت قريبة من بيت أقاربها، والذي كانت مقيمة فيه، ومعتادة عليه، {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[1].

2– إن مدينة الناصرة تقع في الشمال أما مدينة بيت لحم فتقع في الجنوب كما هو موضح في الخارطة، ويبدو أن لوقا يجهل جغرافية بلده، فيصف لنا النزول على أنه صعودا في 1/2–4، وهذا خطأ كبير يشكك في مصداقية رواية لوقا.

إن ما قدمناه عن مكان ولادة المسيح من خلال إنجيلي متى ولوقا، يجعلنا نتساءل لما الإصرار على جعل **بيت لحم يهوذا** هو مكان ولادة المسيح، وما الفرق بينها وبين موضع آخر؟؟

[1]– آل عمران: 37.

خريطة فلسطين في أيام المسيح

تبين المسافة بين الناصرة وبيت لحم

ويجيبنا متى نفسه مقتبسا من العهد القديم نبوءة حول المخلص الآتي الذي لطالما انتظره اليهود ليخرجهم من ظلمات الشتات والأوضاع المزرية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا إلى نور الخلاص وأمل الحياة تحت حكم هذا المخلص الذي سترضخ له جميع الشعوب، والذي سيكون ميلاده في بيت لحم اليهودية حسب النبوات القديمة[1]، فيقول: "**وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل**"[2] ولكي يبرر متى وجود أسرة المسيح في الجليل ونشأته وتبشيره هناك فإنه ابتكر قصة هروب العائلة المقدسة إلى مصر خوفا من بطش هيرود[3] بالطفل، ولكن عندما توفي هيرود عاد يوسف مع زوجته والطفل الصغير ليسكن في موطنه الأصلي بيت لحم، ولكنه عرف لدى وصوله أن إبن هيرود خلف والده فخاف ونزح إلى الجليل حيث سكن مدينة

---

[1]- John Bird Sumer : vérité du christianisme- prouvée par la nature même de cette religion et par le fait de son établissement- , traduit de l'anglais par : le vicampte. P.e. Lanjuinais, (paris : bradouin, 1826), p 93-95.

[2]- مت:6/2، اقتبس النبوءة من ميخا: 2/5 " أما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل".

[3]- هيرودوس: اسم عدة شخصيات ورد ذكرها في العهد الجديد، وهيرود الكبير هو ملك اليهودية من 37 إلى 4 ق.م، وينسب إليه مقتل الأطفال في بيت لحم.

صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونية: جان كوربان، ط1، (بيروت: دار المشرق ومجلس كنائس الشرق الأوسط، 1994م)، ص 529.

الناصرة، ونجد متى يتفنّن في ابتكار نبوة لا أثر لها في العهد القديم[1] عندما يقول: "**وأتى وسكن في مدينة يقال لها الناصرة لكي يتم ماقيل بالأنبياء: إنّه سيدعى ناصريا**"[2]

2- النقد الخارجي:

أوضح البحث التحليلي والتاريخي أنه يجب اعتبار مولد يسوع في بلدة بيت لحم كعنصر من عناصر قصة كونتها التفاسير الدينية المسيحية الأولى من النـــاحية الأدبية، أما إذا أخضعـــنا النصوص إلى النقـــد

التاريخي، فسيتضح لنا الغموض الذي لطالما خيم على مكان مولد المسيح.

لقد حاولنا البحث عن موقع بيت لحم، ولأن الحقيقة لا يمكن أن تخبأ، اكتشفنا أن هناك **مدينتين** تحملان اسم **بيت لحم**.

1- بيت لحم يهوذا[3]: ويقال لها أيضاً "**أفراتة**"، تقع إلى الجنوب من أورشليم على بعد نحو خمسة أميال منها جاء وصفها في سفر أخبار الأيام، سلما بن كالب، بأنه "**أبو بيت**

---

[1]- فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح- موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية-، ط1، (دمشق: دار علاء الدين، 2004م)، ص 23-24.

[2]- مت: 23/2.

[3]- وهي مدينة وعلى ارتفاع نحو 2, 350 قدما فوق سطح البحر. وتحتل المدينة موقعاً متميزاً على جرف من جبل يمتد من تجمعات المياه من الأودية العميقة شرقاً، إلى الشمال الشرقي والجنوب، وعلى مقربة من الطريق الرئيسي إلى تقوع و"عين جدي"، فهي في موقع حصين بطبيعته، وكانت تحتله حامية فلسطينية في أيام داود (2 صم 23: 14، 1 أ خ 11: 16). كما قام رحبعام بتحصين بيت لحم مع بعض المواقع الأخرى (2 أ خ 11: 6).(نبيل بجيب سلامة: دراسات أثرية وتاريخية، أورشليم ...القدس وأهم الأثار الموجودة بها، مراجعة وتقديم: نيافة الأنبا بطرس، ط1، (مصر: دار القديس يوحنا الحبيب، 1994)،، ص 86، قاموس الكتاب المقدس، ص 206)

لحم[1]"، ويسجل سفر التكوين أن "راحيل" دفنت في طريق أفراتة التي هي بيت لحم[2]. وفي العصور المتأخرة للكتاب المقدس: يبدو أن بيت لحم – بعد زمان داود – فقدت أهميتها، ولكن النبي ميخا أنبأ بمستقبلها الزاهر: **"أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل"**[3].

الثانية: بيت لحم زبولون: وكانت تقع في نصيب سبط زبولون[4] ولعلها موطن "إبصان" قاضي إسرائيل[5]. وهي الآن قرية صغيرة تحتفظ باسمها القديم "بيت لحم" وتقع على بعد نحو سبعة أميال شمالي غرب الناصرة الحالية " على حافة غابة البلوط، وقد عثر مؤخرا على بعض الآثار، بهذه القرية، مما يؤكد أنها كانت ذات شأن كبير في العصور القديمة، ولا زالت هذه القرية تدعى بهذا الاسم[6].

وقد بيّنت التنقيبات الأثرية أن هناك مدينة تدعى بيت لحم الجليل كانت قائمة ومزدهرة خلال حياة المسيح، وقد أرجعوا تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد، وتظهر في المصوّرات الجغرافية القديمة والتي من بينها مصوّر بطليموس الذي يرجع بتاريخه إلى نحو 160م، وقد تتالت على المدينة مراحل خراب وهجران ثمّ بناء وازدهار طوال أكثر من

---

[1]- أخ: 51/2.

[2]- تك: 19/35، 7/48.

[3]- ميخا: 2/5.

[4]- يش: 19/ 15.

[5]- قض: 12/ 8 -10.

[6]- قاموس الكتاب المقدس، ص 206.

ألفي سنة، وعند إعلان قيام دولة إسرائيل عام 1948 استوعبت حدودها بيت لحم مع معظم الجليل، وهي تظهر الآن في جميع الخرائط الحديثة لدولة إسرائيل تحت اسم[1]. ويقول إرنست رينان (E. Renan) في هذا الصدد إن المسيح وُلد في الناصرة، وهي بلدة صغيرة بالجليل، و لم يكن لها أي شهرة من قبله، وطوال حياته عُرف يسوع بالناصري، و لم يفلحوا في جعله يولد في بيت لحم إلا بالتحايل المحرج؛ والإحراج هنا ناجم عن أن يسوع لا يمكن أن يولد في وقت واحد أيام هيرود وأيام إحصاء التعداد والفرق بين الحدثين أحد عشر عاما، ولا يمكن ان يولد في بلدة لم تكن موجودة في عهده[2].

ويبدو مما تقدم أن المدينة المرشّحة بقوة لأن تكون مكان الميلاد ليست بيت لحم اليهودية، وإنما مدينة أخرى في الجليل تحمل الاسم نفسه، وقد تمّ التعتيم عليها تاريخياً، وهي تقع مقابل السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل.

ويمكن القول بأن الأخبار التي تواترت إلى مؤلف إنجيل متّى عن **بيت لحم** بأنها الموطن الأصلي لأسرة المسيح قد تكون صحيحة، إلا أنّ متّى أراد أن يسقـــط النبوات التوراتية على المسيح، ووجه الأنظار إلى بيت لحم يهوذا بدلاً من بيت لحم الجليل لتتحقق النبوة الواردة في سفـــر ميخا عن ولادة المخلص، وذات الأمر ينطبق على نسبة المسيح للناصرة هذا الأمر الذي سنتناوله بعناية خاصة.

المطلب الثاني: إشكالية الناصرة

فمن الشائع حسب المصادر المسيحية أن المسيح أمضى طفولته وشبابه في مدينة الناصرة، قال متّى في نهاية قصته عن الميلاد إنّ يوسف بعد عودته من مصر خاف من العودة

---

[1]- فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح، ص 119.

[2]- Ernest Renan: la vie de Jésus, 13 eme édition, (Paris : Michel levis frères, 1867), p 21-22 .

إلى بيت لحم و"**انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل في الأنبياء إنه يدعى ناصرياً**"[1]، وهذه فقرة أخرى لمتى يحاول من خلالها إثبات أن المخلص الآتي سيسكن مدينة الناصرة، لكن الشيء الملاحظ أن هذه النبوة ليست موجودة في نبوات العهد القديم[2]، لكن هناك من يرى أن هذه الكلمة مرتبطة بما جاء في إشعيا: "**ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب**"[3] فقد حددت أحد أجداد المسيا وهو يسى، من أجل هذا قال جذع يسى، وقوله يسى ينبه ذهنيا إلى بيت لحم، والجذع الذي هو قريب من الأرض يشير إلى الأصل أو مكان الولادة.

أما الكلمة العبرية "نتصر" נצר والتي معناها غصن، فتشير إلى أن **المسيح سيدعى ناصريا** "وكلمة ناصرة هي نفسها تعبير الغصن في اللغة العبرية مضاف إليها تاء التأنيث، وهذا معناه المخلص الغصن (**نتصر**) נצר سيسكن مدينة الناصرة (**نتصره**)[4].

وقد شكل اسم هذه المدينة أهم المواضيع التي اهتم به النقاد قديما وحديثا، فوجدوا أنّ اسمها لم يرد في النص اليوناني بصيغة Nasirah المقابل للناصرة נצרה وإنما بصيغة Nazareth (نازاريت). أمّا النسبة إليها فقد وردت بصيغة Nazoraios (نازورايوس). وقد احتفظت

1- متى 2/ 22-23.

2- jacques saurin : Sermons sur divers textes de l'écriture sainte, (paris : treuttel et wurtz, 1835), tome 8, p 197-198.

3- إش: 11/1-2.

4- John Peter Lange : the Gospel according to Matthew together with a general theological and homiletical introduction to the new testament , translated by Philyp Schaff, the third edition, (new york : charles scribner,1865), p 64.

الترجمات الأوربية بصيغة Nazareth كاسم للمدينة التي عاش بها المسيح ولكنّها نسبت إليه بصيغة Nazarene الإنكليزية، وصيغة Nazaréen الفرنسية[1].

وترى الكاتبة Gudgry أن هناك دراسات حديثة تسعى لإستناد نص متى إلى ما جاء في سفر القضاة "**فها انك تحبلين وتلدين ابنا ولا يعل موسى رأسه لان الصبي يكون نذيرا لله من البطن وهو يبدا يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين**"[2] وأيضا: "**ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه إلى الموت. فكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل موسى رأسي لاني نذير الله من بطن أمي**"[3]، وهناك نظرية بهذا الخصوص تبناها Epiphanuis[4] ومفادها أن أصل الكلمة اليونانية Nazoraios، "النذير" أو "المنذور" وهو واحد من فرقة النذيريين[5] وهي طائفة من المندائيين Mandaeans[6]، وهو يرى أن كلمة

---

[1]– John Peter Lange : the Gospel according to Matthew, P 64.

[2]– قض: 13: 5-7.

[3]– قض: 16/17.

[4]– هو أسقف سلاميس salamine وأب للكنيسة، ولد في فلسطين حوالي 320م، أهم مؤلفاته: الإنسان ذو المرساة الثابتة ANCORATUS، وضد الهرطقاتPANARIUM والإثنا عشر حجرا كريما، توفي سنة 403م

(Luis Mayenl Chauden : Nouveau Dictionnaire Historique, 6eme ed, (Société de Gens des Lettres, Bruyset, 1789), vol3, p427 .)

[5]– هي جماعة تنفرد بأخلاقيات معينة وممارسات خاصة بهم؛ فهم لا يشربون الخمر، ولا يقصّون شعورهم ،ولا يحتكون بالموتى، ويتّبعون نظاماً غذائياً صارماً. (قاموس الكتاب المقدس، ص 967).

[6]– أصل التسمية من مندا أي وهي ديانة موحدة، كانت منتشرة في بلاد الرافدين وفلسطين ما قبل بعثة المسيح ولا يزال بعض من أتباعها موجودين في العراق، ويسمون أيضا الصابئة ومسيحيو القديس يوحنا.

Encyclopédie théologique ou série de dictionnaires sur toute les parties, (Paris : Jacques-Paul Migne , 1866), tome 5, p609-610.

الناصريين الواردة على لسان ترتلس Tertulus في سفر الأعمال: "**وبعد خمسة أيام انحدر حنانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ وخطيب اسمه ترتلس، تعرضوا للوالي ضد بولس ....ومقدام من شيعة الناصريين**"[1] يعود أصلها إلى فرقة النذيريين[2]، ويؤكد Lewis Spencer في كتابه "the Mystical life of Jésus" أن صفة الناصري لم تكن في ذلك الوقت تعني شخصا من مدينة الناصرة، بل كانت تعني شخصا ينتمي إلى شيعة سريانية غير يهودية[3] تدعى شيعة الناصريين Nazarene ومثلها أيضا شيعة النذيرين Nazarite وشيع أخرى قريبة منها، وجميع هذه الشيع تضم وثنيين من حيث المولد ويهودا جليليين حديثي العهد باليهودية، وكان لهذه الشيع مقام مقدس على جبل الكرمل، ودير هو أشبه بالمعهد الديني[4].

وقد جاء ذكر هؤلاء النذيرين في مواضع عدّة من التوراة، منها: "...**وأنا أصعدتكم من أرض مصر وسرت بكم في البرية أربعين سنة لترثوا أرض الآمورين، وأقمت من بينكم أنبياء ومن فتيانكم نذيرين. أليس هكذا يا بني إسرائيل يقول الربّ؟ لكنكم سقيتم النذيرين خمراً وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبأوا**"[5].

---

[1]- أع: 5/24 .

[2]-Ray A. Pritz s : Nazarene Jewish Christianity- from the end of the new testament period until its disappearance in the fourth century, reviewed by: Robert M. Price, (the Hebrew university: E .J. Brill and the Magnes Press, 1988) , p 12.

[3]- ما يقصده الكاتب من غير يهودية، أن هذه الشيعة الناصريين ظهرت في منطقة الجليل الذي لم تحتو حتى مطلع القرن الثاني قبل الميلاد إلا على جالية يهودية قليلة العدد، وقد كان الجليليون ينظرون بعداء إلى هؤلاء ويعتبرونهم جسما دخيلا على المجتمع الجليلي.(فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح، ص 113).

[4] - المرجع نفسه، ص 93-94.

[5]- عا: 2/ 10-12.

ويكلمنا سفر العدد عن أصول هؤلاء النذيرين: "**وكلّم الربّ موسى قائلاً: كلّم بني إسرائيل وقل لهم: إذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير، لينتذر للربّ، فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خلّ الخمر ولا خلّ المسكر، ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنباً رطباً أو يابساً. كلّ أيام نذره افتراز، لا يمرّ موسى على رأسه إلى كمال الأيام التي انتذر فيها. للربّ يكون مقدساً، ويربّي خصلات شعر رأسه. كلّ أيام انتزاره لا يأتي إلى جسد ميت**"[1]. وقد كان شمشمون واحداً من هؤلاء النذيرين حسب ما جاء في سفر القضاة: "**وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد، فتراءى ملاك الربّ للمرأة وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي، ولكنك تحبلين وتلدين ابناً. والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً. فها أنت تحبلين وتلدين ابناً ولا يعلو موسى (أداة الحلاقة) رأسه، لأن الصبيّ يكون نذيراً لله من البطن، وهو يبدأ يُخلّص إسرائيل من يد الفلسطينيين**"[2].

وكان صموئيل **منذوراً للربّ** من بطن أمّه أيضاً[3]. وتحدث إرميا عن نفسه كنذير للربّ من بطن أمه: "**فكانت كلمة الربّ إليّ قائلاً: قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجتَ من الرحم قدستك، جعلتك نبياً للشعوب. فقلتُ: آه يا سيد الربّ، إني لا أعرف أن أتكلّم لأني ولد. فقال الربّ لي: لا تقل إني ولد لأنك إلى كلّ من أرسلك إليه**

---

[1]- عد: 6/ 1-6.

[2]- قض: 13/ 5.

[3]- 1 صم: 1/ 1-28.

تذهب وتتكلّم بكلّ ما آمرك به. ومدّ الربّ يده ولمس فمي وقال الربّ لي: ها قد جعلت كلامي في فمك"[1].

وتجدر الإشارة أن القرآن الكريم ذكر في العديد من الآيات عملية النذر، {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[2] وأيضا: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}[3].

وحسب المعطيات السابقة تأكد لنا أن أصل كلمة ناصريين من المنذورين، والسؤال الذي حير الكثير من الباحثين، كيف ينسب الإنجيليون المسيح إلى مدينة الناصرة مع العلم أن هذه المدينة لم تكن موجودة في وقت المسيح؟؟.

إن هناك إجماع من الباحثين على أن مدينة الناصرة بالإضافة إلى عدم ذكرها في التوراة والمصادر اليهودية الأخرى كالتلمود، فهي لا تظهر على المصورات الجغرافية والخرائط التي تعود إلى القرنين الأوّل والثاني للميلاد، كما أن المؤرّخ اليهودي يوسيفوس الذي زودنا في نهاية القرن الأول الميلادي بقوائم عن كلّ مدن وبلدات وقرى فلسطين، لم يذكر أي معلومة عن مدينة تدعى Nazareth [4]. كما أنها لم تذكر في الوثائق المصرية والآشورية

---

[1]- إر: 1/ 4-8.

[2]- آل عمران: 35.

[3]- مريم: 26.

[4]-George Aichele : Sign, text, Scripture: semiotics and the Bible, (England : sheffield academic press, 1997), p 80- 81.

والحثية والآرامية والفينيقية السابقة للميلاد، وأول ما ذكرت في الإنجيل على أنها مدينة محتقرة (يو:46/1) وورد ذكرها في العهد الجديد تسعا وعشرين مرة[1].

ويقول شارل جينيبر (Ch. Guignebert) بهذا الخصوص: "رغم تكرار فكرة أن يسوع من الناصرة، في عشرات الآيات، فما من نص قديم، سواء أكان وثنيا أو يهوديا، يذكر مدينة الناصرة، ثم يتناول تفسير ما نلخصه بأن هناك عملية تحريف وتلاعب بين كلمة النذير (Nazoréen)، أي الذي نذره أهله أو نذر نفسه للسلك الكهنوتي، وهي الموجودة في النصوص القديمة، وبين كلمة "الناصري" (Nazaréen)، نسبةً إلى مدينة الناصرة التي تم إختيارها، إذ كيف يمكن لإله أن يُنذر نفسه لسلك الكهنوت ؟!"[2].

وتؤكد التنقيبات الأثرية في مدينة الناصرة الحالية المعلومات المستقاة من التاريخ، فقد توصل الباحثون الأركيولوجيون إلى أنه لا دليل على وجود هذه المدينة في القرن الأول الميلادي، ويقول المؤرّخ الفرنسي بيار أنطوان برهايم إن Nazareth لم تكن موجودة أيام المسيح، وهذه حقيقة ثابتة من الناحية الأركيولوجية والتاريخية[3].

وقد حاولنا العثور على أية مدينة قديمة أو حديثة يقترب اسمها من الناصرة فلم نوفق إلا لما ذكره Epiphanuis الذي يرى أن هناك مدينة بالأردن تحمل nazaraioi الموجودة في وأصل الكلمة من نصر נסר، ومعناها (انخفض – سقط بعيدا)[4]، لكن لا يمكننا الجزم بأنها المدينة التي قضى فيها المسيح جل سنين حياته.

---

[1]- قاموس الكتاب المقدس، ص 946، ونبيل نجيب سلامة: دراسات أثرية وتاريخية، أورشليم ...القدس وأهم الآثار الموجودة بها، ص 94، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1871.

[2]-Charles Guignebert : Jésus, (New york : Alfred a . Knopf, 1935), p 37-38.

[3]- يوسف يمين: المسيح ولد في لبنان، (لبنان :مطبعة القارح، 1999)، ص 130-131.

[4]- Ray A. Pritz s : Nazarene Jewish Christianity-, p 33.

ورغم عدم وجود مدينة الناصرة في وقت المسيح، إلا أن العهد الجديد ذكرها في عدة مواضع، ونرى أن ما يبرر ذلك هو إرادتهم القوية في تحقيق النبوات الخلاصية للعهد القديم في شخص المسيح، وأكبر دليل على ذلك ما جاء على لسان متى: "**انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة، لكي يتم ما قيل في الأنبياء إنه يدعى ناصرياً**"[1].

وبعد هذا العرض نأتي إلى ربط ما توصل إليه النقاد اعتمادا إلى نتائج البحوث الأركيولوجية، وما جاء في القرآن الكريم.

1- {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[2].

2- {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}[3].

3- {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[4].

4- {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}[5].

---

[1] - 23-22/2.

[2] - المائدة: 14.

[3] - المائدة: 82.

[4] - آل عمران: 52.

[5] - المائدة: 111.

5- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}[1].

ويبدو من الآيات السابقة أن الانتساب إلى النصرانية يقتضي الاقرار القولي {قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}، {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ}، فبات من الواضح أن القرآن الكريم لم ينسب النصارى إلى مدينة الناصرة، بل هم نصارى لأنهم ناصروا المسيح.

والسؤال الذي يطرح هل النصارى هم النذيريين؟؟ لقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أنهم أنصار المسيح وأنهم الجماعة المسيحية الأولى، لكن الإقرار بأن النذيرين هم النصارى يحتاج منا لبحث آخر.

ويبدو لنا كرأي خاص أنه من المحتمل أن المسيح وأتباعه الذين عرفوا بالنصارى[2] وشاع عنهم انتماءهم إلى شيعة النصارى[3] كما جاء في أعمال الرسل (5/24) "**فإننا إذا وجدنا هذا الرجل مفسدا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة، ومقدام شيعة الناصريين**"، كان لديهم مقر معين سمي فيما بعد باسم فرقتهم، وهذا مايبرر عدم وجود هذه المدينة إلا بعد انتشار المسيحية.

---

[1]- الصف: 14.

[2]- تتطابق كلمة نصارى مع نزارين أكثر من الناصرة نازريت.

[3]- لقد دعي المسيحيون أول مرة في انطاكيا (اع: 26/11) نحو 42 أو 43م ويرجح أن ذلك اللقب كان شتيمة في الأول (1بط: 16/4). وهذا يعني أنهم دعوا مسيحيين بعد موت المسيح، فكيف كانوا يدعون في حياة المسيح؟؟ (قاموس الكتاب المقدس، ص 889).

خاتمـــة:

وبعد هذه الوقفة التحليلية النقدية مع بعض الاشكالات الخاصة بمكان ولادة ونشأة المسيح، نجمل ما توصلنا إليه في أمرين:

الأول: أن بيت لحم يهوذا لم تكن في يوم من الأيام مسقط رأس المسيح – عليه السلام- بل أن رغبة الإنجيليين متى ولوقا في تحقيق النبوات التوراتية كان حافزهما ليجعلا من المسيح المخلص الآتي الذي من شأنه انتشال اليهود من أوضاعهم الاجتماعية والسياسية المزية.

الثاني: أن ما شاع في الأوساط المسيحية وحتى عند بعض الدارسين المسلمين من كون نسبة الناصري للمسيح تعود لمدينة الناصرة ما هو إلا زلة كبيرة ظلت تتردد على الألسن لقرون عدة، فقد ثبت عدم وجود مدينة تدعى الناصرة في وقت المسيح، وأما ما توصلنا إليه فهو انتساب أتباع المسيح إلى فرقة تدعى "نصارى" أو "نزاريت" لأنهم آثروا أن ينصروا الله. وفي ختام هذا المقال أنوه إلى ضرورة الالتفات والاستفادة من الدراسات التاريخية والأركيولوجية في هذا الشأن.